"أزهر سعودي" يتجه نحو التحديث

انتزعت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، شمال العاصمة السعودية الرياض مكانة فريدة بين الجامعات العالمية المماثلة، ناهيك عن أخواتها المحلية، وغدت كما يرى عدد من المختصين «أزهراً» جديداً في العناية بالدراسات الإسلامية، وفتح بوابات المعرفة مشرعة أمام الطلاب المسلمين في معظم أنحاء المعمورة.

ومع كثافة الحملة المضادة ضدها محلياً وعالمياً، منذ عام ٢٠٠٠، إلا أنها ظلت تفتخر بأنها «الجامعة التي لا تغيب عنها الشمس»، بفضل توزعها الجغرافي داخل السعودية وخارجها، الذي أثمر تخريج نحو ١٠٠ ألف طالب وطالبة. الذين يشبهون جامعة الإمام بالأزهر في اعتناء الأخير بالشريعة وعلوم اللغة العربية، وسيكون بوسعهم أن يربطوا بين الجامعتين في إطار آخر، هو الانتقادات المستعرة ضدهما في ما يقدمانه من أنشطة، وما يقررانه من مناهج، كما أن الجامعتين أيضاً وإن صدق بعض النقد الموجه إليهما، إلا أن إصرارهما على الثبات في رسالتهما كان محل تقدير كثيرين، وقاسماً مشتركاً بينهما.

وبينما يواجه الأزهر نقداً صارماً من التيار الإسلامي المصري، بسبب ما يعتبره تراجعا نسبياً للمؤسسة العلمية عن دورها واستقلالها، كما يشير الدكتور محمد العوا في كتابه أزمة «المؤسسة الدينية»، يطاول جامعة الإمام نقد مماثل أو أشد بسبب توسعها في العلوم غير الشرعية والعربية، إذ يرى عميد كلية الشريعة فيها سابقاً، الدكتور سعود الفنيسان أن «الجامعة انحرفت عن مسارها وضعفت بسبب إدارتها، والأحداث الإرهابية في بلدنا، التي حملها الإعلام ظلماً بعض مسؤوليتها، بزعم أنها أثرت في خريجيها والمنتمين إليها، وأنا أعتقد أن هذا من الأسباب التي ضربت الجامعة، حتى سبقتها جامعة الملك سعود حتى في العلوم الشرعية، ومن عوامل ضعف جامعتنا العريقة أنها تخلت عن رسالتها وتوجهت إلى المجالات المدنية التي لم تنشأ لها، تفتح كلية للحاسب وتفكر في كلية للطب وكلية للهندسة ما هذا الكلام؟ هذا خروج عن رسالتها». لكن الفنيسان وآخر يغفلون أن الأزهر الذي يعد أعرق مؤسسة علمية إسلامية على الإطلاق، غدت كلياته العلمية تمثل نسبة عالية في العدد الإجمالي الذي يبلغ ٤٣ كلية متوزعة في أرجاء مصر، استجابة لمتغيرات العصر وحاجة المجتمع.

ومن دون أن يعلن مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الدكتور محمد السالم عن توجه أو خطة للتوسع في العلوم النظرية، بات واضحاً من خلال خطواته أنه يستهدف ذلك، وهو أمر يحسب له في نظر الكثيرين. بيد أن مؤثرين حوله أكدوا أن افتتاح الجامعة

لكليات في تخصصات مثل الحاسب، والطب (قريباً) لا يقدح في تخصصها الأبرز في العلوم الشرعية والعربية.

وفي زيارة قامت بها «الحياة» لكلية الدعوة والإعلام في الجامعة أخيراً، كشف عميدها الدكتور محمد الحيزان الذي جاء من الهيئة العليا للسياحة حديثاً، أنه أحال جميع مقررات قسم الإعلام السابقة إلى التقاعد!

وشاهدت «الحياة» طلاب القسم وهم في معامل التدريب على الجرافيكس، والإخراج الصحافي، والتلفزيوني الرقمي، بينما خصصة قاعة جانبية لتأهيل الأساتذة السابقين، لمحاولة مواكبة التحديث الذي يحاول أن يقنع زملاءه في بقية الكليات بجدواه. الحيزان الذي تبدو أفكاره بالنسبة إلى التقليديين من الأساتذة في الجامعة، «سياحية جريئة» في أحسن الأحوال، أطلعنا على ممر، قال إنه «سيصبح عما قريب متحفاً يؤرخ للإعلام والاتصال، صوراً ومقتنيات»، وغرفة تشهد أعمال صيانة مكثفة، أفاد بأنها «ستكون عبارة عن أستوديو بث تلفزيوني افتراضي، يتدرب فيه الطلاب، وتستفيد الجامعة منه ما أمكن». وأكد أن ٦٠ طالبة في مرحلة الماجستير والدكتوراه، هيأت لهن كليته مقاعد في مبنى الطالبات، وبذلك يكون قسم الإعلام الذي يتبع كليته، الأول الذي سيخرج صحافيات ومذيعات ومخرجات سعوديات، «فنحن قررنا البناء من الأعلى، فبعد أن تتخرج طالبات الدراسات العليا في قسم الإعلام، سنبدأ في استقبال طالبات البكالوريوس الراغبات في دراسة التخصصات الإعلامية كافة.

ولم يقف توظيف الحيزان لإمكانات التقنية عند هذا الحد، ولكن «بدلاً من مكتبة عتيقة لرسائل الكلية، أنشأنا مكتبة رقمية على أقراص (دي في دي) لتسهيل الإفادة من الرسائل الجامعية، وبيعها على الراغبين في الداخل والخارج بأسعار رمزية، وبالأمس فقط تلقينا طلباً من دارس في أميركا لإحدى الرسائل، ووصلت إليه بضغطة زر، وما يعد أهم من ذلك أنه بدءاً من الفصل الحالي بات بوسع طلابنا المنتسبين الحصول على مقررات القسم في مدنهم وقراهم، على موقع الجامعة الإلكتروني وهو ما يعرف علمياً بـ (التعليم الإلكتروني اللاتزامني)، وقريباً سنمكنهم من الاختبار في أي منشأة تابعة للجامعة، حتى لو كانت معهداً علمياً»!

ويذكر العميد أن غربلته لكلية الإعلام، التي يتمنى - تلميحاً لا تصريحاً - أن تعم جميع الكليات «جاءت بعد دراسة مقارنة أجراها بين مقررات الجامعات الأميركية والسعودية لمادة «الإعلام»، توصلَ بعدها إلى أن الجامعات السعودية تدرس تاريخ الإعلام، وليس الإعلام المهني المعاصر».

لكن الذي يقر الحيزان بأنه الفريضة الغائبة في الجامعة التي يعد أحد رموزها التحديثيين، هو «حملة علاقات عامة، تعكس للناس ما بداخل الجامعة ليبصرونه، رأي عين. الجامعة مظلومة ومجني عليها، على رغم تاريخها في تخريج قيادات أسهمت بقوة في التنمية الوطنية، فمعظم المسؤولين اليوم من خريجي هذه الجامعة، كل هذه وغيرها عوامل تؤهل الجامعة لترسيخ مكانة أرفع

لها في ذهنية الجماهير المحلية والعالمية». وأقر بأن مدير الجامعة السالم، «ليس من جنس المديرين المتوجسين من التطوير والتغيير، بل يرحب بالأفكار الجديدة، ويدعم تنفيذها، طالما هي في إطار الثوابت الشرعية، والأعراف المرعية، وتتفق مع هوية الجامعة الإسلامية».

الجامعة في سطور

كان تعليم العلوم الشرعية والعربية في المملكة العربية السعودية قبيل افتتاح المدارس الحكومية والمعاهد العلمية - كما تقول الجامعة في موقعها على الشبكة - «متوافراً في معظم مناطق المملكة عامرة به مساجدها وبعض بيوت علمائها الذين تخرج على أيديهم كثير من القضاة، وكان للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمة الله عليه - وإخوانه الدور الفعال في إثراء الحركة العلمية بمدينة الرياض وما جاورها، ومع بداية النهضة العلمية الشاملة في عام ١٣٧٠هـ».

لكن إقبال الشباب على العلوم الشرعية دعا «حكومة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن - رحمه الله - إلى افتتاح معهد الرياض العلمي وأسند الإشراف عليه إلى مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ العالم محمد بن إبراهيم رحمه الله، وكان اللبنة الأولى للمعاهد العلمية في مختلف مناطق المملكة، ثم افتتحت كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٧٣هـ، وكلية اللغة العربية بالرياض في عام ١٣٧٤هـ، ثم تتابع افتتاح المعاهد العلمية وكانت منضوية تحت مسمى «الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية».

وفي ١٣٩٤/٨/٢٣هـ صدر المرسوم الملكي الكريم رقم م/٥٠ المبني على قرار مجلس الوزراء رقم ١١٠٠ وتاريخ ١٣٩٤/٨/١٧هـ بالموافقة على نظام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، واعتبارها مؤسسة تعليمية وثقافية عالية، وقد شملت المعاهد العليا والكليات والمعاهد العلمية.

ومنذ إنشاء الجامعة وهي في توسع مستمر إذ يوجد بها الآن ١١ كلية منها خمس في الرياض وست خارجها في كل من مناطق القصيم والأحساء والجنوب والمدينة المنورة، إلى جانب معهدين في الرياض أحدهما للقضاء (يعتبر المصدر الأساسي للكادر القضائي في المملكة)، والآخر لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وخمسة معاهد في الخارج لتعليم العلوم الإسلامية والعربية في كل من رأس الخيمة وجيبوتي وإندونيسيا وأميركا واليابان، و٦١ معهداً علمياً منتشرة في مختلف مدن المملكة.

وكانت الجامعة اختارت لنفسها أهدافاً رئيسة، تحكم عملها.

الأول: أنها مؤسسة علمية وثقافية تعمل على هدي الشريعة الإسلامية.

والثاني: أنها تقوم بتنفيذ السياسة التعليمية بتوفير التعليم الجامعي والدراسات العليا.

والثالث: النهوض بالبحث العلمي والقيام بالتأليف والترجمة والنشر.

والرابع: خدمة المجتمع في نطاق اختصاصها.